

اسم المادة: وسائل الأمر والنهي بين الغلاة والمفرطين

من سلسلة: فقه الدعوة

لفضيلة الشيخ: د. أحمد سيف

حياة

Way2allah.com

way2allahcom

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله



اسم المادة: وسائل الأمر والنهي بين الغلاة والمفرطين
من سلسلة: فقه الدعوة
لفضيلة الشيخ: د. أحمد سيف

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم.
الحمد لله عدد ما خلق، الحمد لله ملء ما خلق، الحمد لله عدد ما في السماوات وما في الأرض، الحمد لله عدد ما أحصى كتابه، الحمد لله على ما أحصى كتابه. الحمد لله عدد كل شيء، والحمد لله ملء كل شيء، اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

أذكر نفسي والإخوة والأخوات الفضليات بحديث النبي –صلى الله عليه وسلم–، "ما جلس قومٌ يذكرون اللهَ عزَّ وجلَّ إلا ناداهم منادٍ من السماءِ: قوموا مغفورًا لكم، قد بُدِّلَتْ سيئاتُكم حسناتٍ"[1]، وبحديث النبي –صلى الله عليه وسلم–: "وَمَن سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فيه عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ له به طَرِيقًا إلى الجَنَّةِ"[2]، فأسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يرزقنا في هذا المجلس الإخلاص في القول والعمل، وأن يرزقنا نية صالحة نتقرب بها إلى الله –سبحانه وتعالى–، وأن يجعل هذا الوقت في ميزان حسناتنا يوم القيامة.

لا زلنا مع رسالة شيخ الإسلام ابن تيمية من الاستقامة في المجلس الثالث في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتوقفنا في المرة السابقة عند اختلاف الناس في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على آية من آيات الكتاب الكريم، وتكلمنا فيه إن الآية بعض الناس فسرتها غلط وبعض الناس على الصعيد الآخر فسرتها غلط وده عمل إشكال في مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند كثير من الناس. الآية في قول الله –سبحانه وتعالى– في سورة المائدة: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" المائدة:١٠٥، والآية شيخ الإسلام ذكر فيها طرفان من الناس اللي فهمت الآية خطأ وهو عتب على الطرفين، يعني شيخ الإسلام ذكر الطرف الأول من أهل الإسلام اللي قالوا إن الآية دي بها نُسْقِط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والطرف التاني اللي أخد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دون فقهه فاستعمل اليد والقوة في كل أنواع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دون أن يتحلى بالعلم والحكمة، والرفق والصبر، والمصالح والمفاسد اللي هي الشروط اللي شيخ الإسلام ذكرها في مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وازاي إن أي إنسان بيدعو إلى الله –سبحانه وتعالى– محتاج إنه يتحلى بهذه الشروط؛ وبدأها بالرفق ثم بالحكمة والموازنات بين المصالح والمفاسد، ثم

---
[1] حسنه الألباني
[2] صحيح مسلم



بعد ذلك هيذكر بقى الحلم والصبر والشجاعة والعلم، شروط تفرد بها شيخ الإسلام في مسألة اعتبارات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكيفية وفقه هذه العبادة التي أمرنا الله –سبحانه وتعالى– بها.

وذكر اختلاف بعض الناس في تفسيرها، وهو طبعا بعد ما ذكر التفسيرين اللي ذكرهم ليدل على بيان خطأ هذا التفسير هو هيوضح بعد ذلك.

لكن خليني ألقي نظرة على الآية قبل ما أكمل كلام شيخ الإسلام؛ الآية: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ" قيل في سبب نزولها قولان: أحدهما حديث النبي –صلى الله عليه وسلم–: أن النبي –عليه الصلاة والسلام– كتب إلى قبيلة هَجَر، وكانت القبيلة دي عليهم المنذر ابن ساوي يدعوهم إلى الإسلام، النبي –عليه الصلاة والسلام– بعث أحد أصحابه إلى هذه القبيلة يدعوهم للإسلام، وقال لهم إن هم لو لم يسلموا فليؤدوا الجزية، وطبعا لا يخفى إن أمر الجزية ده كان في آخر عهد النبي –صلى الله عليه وسلم–، فلما آتاه الكتاب عرضه على من عنده من العرب واليهود والنصارى والمجوس، فأقروا بالجزية، وكرهوا الإسلام، لما كتاب النبي –صلى الله عليه وسلم– راح لهذه القبيلة، وعُرِضَ الأمر على هؤلاء فأقروا الجزية وكرهوا الإسلام، قالوا لأ احنا مش عايزين نسلم لكن احنا ممكن ننزل تحت حكم النبي –صلى الله عليه وسلم– وندفع الجزية، والجزية معلوم إنها بتكون في مقابل الحماية، يعني النبي –عليه الصلاة والسلام– بيكفل لهم الأمن، ويكفل لهم العدل، ويكفل لهم الحرية، ويكفل لهم الأمان، ويكفل لهم حسن المعاملة وحسن الخلق، ولا يؤذوا أحد ولا يؤذيهم أحد، ويدافع عنهم النبي –صلى الله عليه وسلم–، فقالوا لا خلاص احنا مش عايزين نسلم ولا حاجة، وكرهوا الإسلام وأقروا بالجزية، فكتب إليهم النبي –صلى الله عليه وسلم–.

النبي –عليه الصلاة والسلام– لما جاءه الكتاب إن هم قبلوا ذلك قال: أما العرب فلا تقبل منهم إلا الإسلام أو السيف، وأما أهل الكتاب والمجوس فاقبل منهم الجزية. الحقيقة إن فيه خلاف بين أهل العلم في مسألة من يُقبل منه الجزية، هل أهل الكتاب فقط؟ ويلحق بهم المجوس، وده قول غير واحد من أهل العلم، ولا الجزية ده حكم على مستوى الدولة وإن الحكم ده فيه تعميم؟ وممن صرح بهذا التعميم شيخ الإسلام ابن تيمية في غير هذا الموضع، لكن عمومًا المشهور عند كثير من الفقهاء إن الجزية لا تؤخذ إلا من أهل الكتاب، فقال: أما العرب فلا تقبل منهم إلا الإسلام أو السيف وأما أهل الكتاب والمجوس فاقبل منهم الجزية، فلما قرأ عليهم كتاب النبي –صلى الله عليه وسلم– أسلمت العرب. العرب كانوا عباد أصنام، فأسلمت العرب وأعطى أهل الكتاب والمجوس الجزية.

طبعا احنا اتكلمنا قبل كده إن فيه أحكام للدول وفيه أحكام للأفراد، يعني مش معنى إن قادة هؤلاء وكبراء هؤلاء قبلوا الإسلام إن كل واحد من الناس دي أسلمت، لا، لإن كل واحد حر في اعتقاده، وربنا –سبحانه وتعالى– سيحاسب كل إنسان على ما أراد وعلى ما اختار وعلى وفق أعماله وأقواله وأفعاله، لكن هنا فيه تشريعات عامة؛ يعني فيه تشريعات دولية وفيه تشريعات فردية، فده من التشريعات الدولية يعني ده مش إكراه على الإسلام لإن هو خلاص هو فيه فرق إن العدل هو عدل الإسلام وإن الإسلام بيكفل لكل إنسان حقه في أن يختار ما يشاء، وفرق إن احنا بنقول أن كل إنسان هيعتقد إيه؟ أو هيعبد ربنا ازاي؟ ربنا –سبحانه وتعالى– ذكر في كتابه الكريم، حتى عن المسلمين أنفسهم، قال: "ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ" فاطر:٣٢، فهنا النبي –صلى الله عليه وسلم– قال له: العرب لا تقبل منهم إلا الإسلام أو السيف يعني إما الحرب وإما الإسلام، وأما أهل الكتاب والمجوس فاقبل منهم الجزية، لأن العرب كانوا عباد أصنام ما كنش لهم إله أصلًا، فقال لهم لأ أنا مش هقبل إنهم يعبدوا الأصنام مرة أخرى في الأرض اللي احنا ربنا –سبحانه وتعالى– مكن لنا فيها، اللي عايز يعبد يعبد الأصنام والأوثان مرة أخرى فلا يكون معنا، أما أهل الكتاب فهم يعبدون الله –سبحانه وتعالى– بتأويل، ولا شك أن أهل الكتاب أقرب من عباد الأصنام والأوثان، فقال: وأما أهل الكتاب والمجوس – والمجوس كان لهم ديانة سابقة، قول ابن عباس أن هم كانوا أهل كتاب أصلًا كان لهم كتاب ثم حرّفوه حتى عبدوا النار–، فلما قرأ عليهم كتاب النبي –صلى الله عليه وسلم– أسلمت العرب وأعطى أهل الكتاب والمجوس الجزية، فقال منافقوا مكة، فيه بعض الناس كانت في مكة ده



طبعا ده في آخر حياة النبي –صلى الله عليه وسلم–، فقالوا: عجبا لمحمد يزعم أن الله بعثه ليقاتل الناس كافة حتى يسلموا، ثم يقبل من مجوس هَجَر وأهل الكتاب الجزية؟ هلا أكرههم وردها على إخواننا بالعرب؟ فبدأ الناس تطعن في النبي –صلى الله عليه وسلم– ويقولوا يعني اشمعنى أن هو يقبل من أهل الكتاب؟ يقبل من اليهود والنصارى والمجوس الجزية ولا يقبل من عباد الأصنام والأوثان، وبدأوا يطعنوا في النبي –صلى الله عليه وسلم–، وطبعا التشريعات دي تشريعات سماوية يعني الأمر لله –سبحانه وتعالى–، والله –سبحانه وتعالى– يحكم لا معقب لحكمه ولا رد لقضائه، ولا يُسأل الله –سبحانه وتعالى– عما يفعل، فسبحانه وتعالى حكيم رحيم –سبحانه وتعالى– لا يقضي إلا بعدله ولا يحكم إلا بعلمه، هنا هم بدأوا يتكلموا على النبي –صلى الله عليه وسلم– فشق ذلك على المسلمين، فنزلت هذه الآية: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" ممن ذكر تفسير هذه الآية أنها نزلت في هذا ده قول رواه أبو صالح عن ابن عباس، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير، وقال مقاتل: كان النبي –صلى الله عليه وسلم– لا يقبل الجزية إلا من أهل الكتاب، فلما أسلمت العرب طوعًا وكرهًا قبلها النبي –صلى الله عليه وسلم– من مجوس هَجَر، فطعن المنافقون في قبول النبي –صلى الله عليه وسلم– من المجوس ورفضه الجزية من العرب، فنزلت هذه الآية موضحة أن الله –سبحانه وتعالى– يأمر أهل الإيمان أنه عليكم أن تقيموا أمر الله –سبحانه وتعالى– عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ يعني فيه واحد هيتفتن هيتفتن، فيه واحد لو قلت له أي حاجة هيتفتن، لو جبت له أي تشريع هيتفتن، هيقول لك كده: هو ليه ربنا أمرنا إن احنا نصلي الضهر أربعة؟ هو ربنا أمرنا إن احنا نصلي الضهر أربعة لأنه إله حكيم عليم ونحن عبيد. هيطلع لك أي حاجة يعني اللي عايز يكفر بأي حاجة هيطلع أي حاجة ويكفر بها، اللي عايز يرتد هيرتد بأي حاجة، هيقول لك ليه ربنا –سبحانه وتعالى– أمر إن الراجل يشتغل والست تقعد في البيت؟ ليه الست أمرها إن هي ترضع؟ أو إن هي تقوم على أمر بيتها، ليه الراجل بيرث كذا؟ ليه الست بترث كذا؟ أي تشريع هيطلع لك، في الزكاة هيقول لك هو ليه اشمعنا اتنين ونص في المية؟ ليه مش تلاتة في المية؟ اللي عايز يطلع أي حجج على الدين هيعرف يطلع أي حجج على الدين، فأي تشريع كان؛ يعني سواء في النبوة، في الرسالة، في أسماء الله وصفاته، في القدر، يعني اللي عايز يا جماعة يضيع هيضيع هو اختياره إن هو يضيع، فده اختيارات.

يعني هو ربنا –سبحانه وتعالى– هنا بيقول: عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ فلذلك لا ينبغي أن يراعي الناس كثير من الحجج وكثير من الشبهات وكثير من الكلام أحيانًا لا قيمة له، لإن عارفين لما أبو بكر الصديق –وكان رجلا عميقًا عاقلًا صادقًا صديقًا– لما بيقولوا له صاحبك يزعم أنه سافر من مكة إلى بيت المقدس ثم عُرِجَ به إلى السماء ثم عاد في ليلة واحدة، فأبو بكر الصديق راجل عميق، قال لهم يا جماعة أنا مصدقه في أكتر من كده، يعني انتم بتعتبوا إيه؟ يعني انتم بتعتبوا إن هو سافر لأ لأ أنا مصدقه لإن هو رسول من عند الله –سبحانه وتعالى– يأتيه وحي السماء.

فهنا نقطة مهمة إن فيه فرق إن أنا أصل إسلامي مبني على إن أنا عارف أن للكون إله وأن الإله يملك كل شيء ويحكم كل شيء وأنه على كل شيء قدير، وأنه بكل شيء بصير، وأنه لا يُسأل وأنه عليم حكيم قدير، فهنا بالنسبة لي أنا استسلمت خلاص، أنا عقلي استسلم، عارفين لما الإنسان بيجي يركع ويقول: خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي، هو خلاص هو فهم أنه عبد عند الله –سبحانه وتعالى–، فبالنسبة له قضية الدين قضية استسلام لله –سبحانه وتعالى–، لأوامر الله –سبحانه وتعالى–، الله لا يُناقش في أحكامه لإن خلاص أنا أمنت أنا شفت ما لا صبر لي عليه، أنا رأيت قوة الله وعظمة الله وحكمة الله، رأيت بديع صنع الله، رأيت قدرة ربنا في الخلق، رأيت الشمس والقمر والنجوم وتدبير الأمور، رأيت حكمة الله –سبحانه وتعالى– في تدبير أمر السماوات والأرض والليل والنهار والزرع والبحار والأشجار، فأنا بالنسبة لي بقى لأي تشريع خلاص بقى المفروض إن المسلمين يبقى عندهم نوع من أنواع الاستسلام لله –سبحانه وتعالى–.

فهنا الآية بتقول: عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ده أحد الأقوال في تفسير الآية أو أحد الأسباب في نزول الآية، وطبعا لا يخفى عليكم أن العبرة دائما ليست بخصوص السبب إنما بعموم اللفظ، يعني أن الألفاظ خالدة، أن الله –سبحانه وتعالى– جعل القرآن يصلح لكل زمان ومكان: "تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا" الفرقان:١، فالقرآن فرقان للعالمين وليس فقط للأسباب التي نزل لأجلها، يعني أحيانًا ممكن الآية بتنزل لسبب معين لكنها بتخاطب الجميع، فالناس كلها مش هتعيش في السبب ده، لأن السبب ده مخصوص في قوم مخصوص في زمن مخصوص، إنما القرآن نزل للعالمين، لذلك مهم جدًا إن احنا نقف مع ألفاظ الآيات ونعرف معاني هذه الآيات، لكن أسباب نزول القرآن بتعرفنا المعنى الأصيل، المعنى التي قصدته الآية في النزول.

السبب التاني اللي ذكروه وأحيانًا يتعدد نزول الآيات على أسباب متعددة على قول من أقوال التفسير، السبب الثاني أن الرجل كان إذا أسلم قالوا له: "سفّهت أباءك وضللتهم وكان ينبغي لك أن تنصرهم" إن الراجل لما كان يسلم فكان يقولوا له الحق ده انت ضيعت دينك وضيعت أخواتك وضيعت أصحابك وضيعت مجتمعك، وانت كنت المفروض إن انت تبقى عضد ونصير، يضغطوا عليه مجتمعيًا لأنه أسلم لله رب العالمين، يضغطوا عليه مجتمعيا لأنه لم يتبع أراءهم وأفكارهم وأهواءهم، كان ينبغي لك أن تنصر آباءك وتنصر الآلهة التي يعبدها الآباء، فنزلت هذه الآية، قاله ابن زيد.

قال الزجاج ومعنى الآية: "إنما ألزمكم الله أمر أنفسكم ولا يؤاخذكم بذنوب غيركم، وهذه الآية لا توجب ترك الأمر بالمعروف لأن المؤمن إذا تركه وهو مستطيع له فهو ليس بمهتد بل هو ضال".

وقال عثمان بن عفان: "لم يأتِ تأويلها بعد".

وقال ابن مسعود: "تأويل هذه الآية في آخر الزمان، قولوا ما قُبِل منكم، فإذا غُلِبتم فعليكم أنفسكم". ابن مسعود بيقول: إن الآية دي هتشوفوها في آخر الزمان، لكن عموما هو بيفسر الآية بيقول لهم: قولوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيه حد هيقبل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيه حد مش هيقبله، فقال لهم لو واحد قبل خلاص هو قبل، لو واحد رفض عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم، يعني انت عليك البلاغ وعليك البيان ثم بعد ذلك –ده قول ابن مسعود في الآية– ثم بعد ذلك من شاء أن يتبع الحق فليتبعه، ومن شاء أن يعرض عن الحق فهو وشأنه الله يحاسبه، لكن عليك أن تقول ثم إذا رفض الناس هذا القول فلا يضرك ما يرفضه الناس، إنما عليك بنفسك، فقم انت بالحق وافعل هذا الحق حتى لو كنت وحدك.

وفي قوله: لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ قولان:

– أحدهما: لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ بترك الأمر بالمعروف إِذَا اهْتَدَيْتُمْ انتم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هنا حذيفة بن اليمان يفسر لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ بيقول: إن الهداية هنا هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والضلال هنا هو ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ف لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ يعني لا يضركم من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا انتم اهتديتم إلى هذه العبادة العظيمة اللي هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

طبعا شيخ الإسلام يعني رجل حازق رجل دقيق عالم نحرير إن هو يأتي بهذه الآية وهو يعلم تفسير هذه الآية ويعلم اختلاف العلماء في تفسير هذه الآية حتى يُعَلِم الناس وحتى يبين للناس معنى هذه الآية. إن حذيفة بن اليمان وهو أحد أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم– بيقول: إن الهداية والضلال اللي موجودين في الآية مقصود بهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ يعني لا يضركم من ضل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا اهتديتم انتم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يعني لو انت قررت انك تدعو إلى الله وانك



تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ولقيت واحد بيقول لك لأ وده غلط وما تعملش ده، أو واحد تاني أعرض عن ذلك؛ سواء عن إن هو يساعدك أو إن هو يعينك على ذلك أو إن هو يقبل منك هذا، فلا يضرك هذا عند الله –سبحانه وتعالى–، ده قول.

القول الثاني لا يضركم من ضل من أهل الكتاب إذا أدوا الجزية، قاله مجاهد.

ثم قال –تعالى–: "فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ"، هنا شيخ الإسلام بيذكر اختلاف الناس في هذه الآية، وقال: "الاهتداء إنما يتم بأداء الواجب، فإذا قام المسلم بما يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قام بغيره من الواجبات لم يضره ضلال الضُلَّال، وذلك يكون تارة بالقلب وتارة بلسانه، وتارة باليد". وبعد كده بدأ يتكلم على الفريقان من الناس اللي غلطوا في هذه الآية؛ اللي هو فريق ترك ما يجب عليه من الأمر والنهي تأويلًا لهذه الآية كما قال أبو بكر الصديق إنكم تقرأون هذه الآية عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ وأنكم تضعونها على غير موضعها، وأني سمعت النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول إن الناس إذا رأوا منكرًا فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقابٍ منه. والفريق الثاني من يرى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إما بلسانه وإما بيده مطلقا، هنا بدأ شيخ الإسلام بيتكلم على إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحتاج إلى حكمة، يحتاج إلى تدريب، يحتاج إلى فقه، يحتاج إلى حلم، يحتاج إلى صبر، يحتاج إلى موازنات بين المصالح والمفاسد، ويحتاج إلى علم، فلا ينبغي مطلقًا إن احنا نعمم؛ واحد ياخد الآية ويبدأ يعممها، ده هنا عنده مشكلة، عشان كده بدأ شيخ الإسلام يتكلم على الفريق الثاني وهو طول شوية في الفريق الثاني وضرب أمثلة في مسألة الفريق الثاني حتى يبين أن اللي ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان عنده مشكلة، واللي استعمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بطريقة خاطئة برضه عنده مشكلة، بل عنده مشكلة كبيرة جدًا، وهذه المشكلة ممكن تضيع الأمة بل تضيع الدين كما أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ممكن يضيع الدين، يعني كما أن الدين ممكن يضيع لما الناس تترك العبادة العظيمة زي الصلاة زي التوحيد زي قراءة القرآن زي الذكر زي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيه عبادات عظيمة من الدين، فيه أركان للدين، وفيه واجبات للدين وفيه قيم مهمة في الدين، كذلك ممكن الدين يضيع أيضًا بالمغالاة والغلو في فهم أو في التطبيق دون حكمة ودون معرفة لمنهج النبي –صلى الله عليه وسلم–.

فبدأ شيخ الإسلام بيتكلم عن الفريق الثاني الناس اللي غالت أو اللي فهمت الآية غلط وسببت بفهمها الخاطئ مزيد من المشكلات ومزيد من تضييع الدين، كما أن غيرهم تركوا الدين، يعني فيه ناس تركت الدين وفيه ناس استعملت الدين استعمال خاطئ فبالتالي نتج عنه أيضًا فساد عظيم.

قال: "والفريق الثاني من يريد أن يأمر بالمعروف إما بلسانه وإما بيده مطلقًا من غير فقه ولا حلم ولا صبر ولا نظر فيما يصلح من ذلك وما لا يصلح، وما يُقْدَر عليه وما لا يُقْدَر، شوفوا يا جماعة الـ ٦ حاجات اللي ذكرهم شيخ الإسلام دول هيقف معاهم وقفات مهمة جدًا، ياريت نحط تحتهم خط: <u>من غير فقه</u>، <u>ولا حلم</u>، <u>ولا صبر</u>، <u>ولا نظر فيما يصلح من ذلك وما لا يصلح</u>، عدكده معي فقه وحلم وصبر ونظر فيما يصلح وما لا يصلح <u>وما يُقْدَر عليه وما لا يُقْدَر</u>، يبقى هنا هو ذاكر خمس حاجات وسادسهم؛ <u>الرفق</u>. هو ذكر الرفق قبل الموازنات.

وهنا الفقه هيعبر عنه بالفقه ويعبر في موضع آخر بالعلم، يعني هنا ٦ شروط وضعها شيخ الإسلام ودندن حولها، هو ما كتبهمش هذه شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإنما هو دندن حول هذه المعاني ليبين أن الأمر يحتاج إلى رفق، يحتاج إلى فقه، يحتاج إلى حلم، يحتاج إلى صبر، يحتاج إلى نظر في المصالح والمفاسد، يحتاج إلى نظر في قدرة الإنسان، الإنسان يقدر ولا لا يقدر؟ هل إيمانه يتحمل ولا إيمانه لا يتحمل؟ هل عنده قدرة على الكلام ولا ما عندوش قدرة على الكلام؟ هل عنده حجة ولا ما عندوش حجة؟ هل هو عنده قدرة على تحمل أعباء وتبعات هذا الأمر ولا ما عندوش قدرة على تحمل تبعات هذا الأمر؟ الأمر محتاج حقيقةً إلى فهم للتشريع. فبدأ يتكلم على أن فيه ناس



قررت إنها تسمع الآية وتعمل بها مطلقًا دون أن تفهم هذه المعاني وهذه الاعتبارات المهمة التي وضحها الله –سبحانه وتعالى–، وذكرها النبي –صلى الله عليه وسلم–، وبينها أهل العلم عبر العصور.

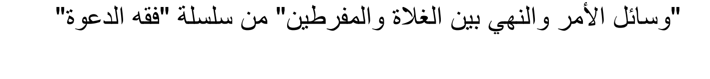
هنا بدأ شيخ الإسلام يتكلم على الطرف التاني اللي هو الطرف اللي قرر إنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بإيده أو بلسانه مطلقا دون أن يراعي هذه الاعتبارات؛ اللي هي نقدر نقول اعتبارات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، نقدر نقول واجبات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، نقدر نقول من الأركان المهمة التي ينبغي مراعاتها، نقدر نقول بعض شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، نقدر نقول موازنات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الحاجات اللي احنا لابد نفكر بها ونفكر فيها في هذه العبادة العظيمة، الرفق والفقه والحلم والصبر والنظر في المصالح والمفاسد والنظر فيما يقدر عليه العبد.

فبيقول شيخ الإسلام كما في حديث أبي ثعلبة الخشني؛ بدأ شيخ الإسلام يتكلم على إن النبي –عليه الصلاة والسلام– لم يطلق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إنما النبي –عليه الصلاة والسلام– قال له مُر بالمعروف وانهى عن المنكر، لكن عند حد معين لابد انك انت تتوقف. ليه أتوقف؟ لأن فيه حاجة تانية انت لا تقدر عليها. قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "بل ائتَمِروا بالمعروفِ وتناهَوْا عن المنكَرِ حتَّى إذا رأَيْتَ شُحًّا مطاعًا وهوًى متَّبَعًا ودنيا مؤثَرةً وإعجابَ كلِّ ذي رأيٍ برأيِه فعليك نفسَك ودَعْ أمرَ العوَامِّ فإنَّ مِن ورائِكم أيَّامًا الصَّبرُ فيهنَّ مثلُ قبضٍ على الجمرِ، للعاملِ فيهنَّ مثلُ أجرِ خمسينَ رجلًا يعمَلونَ مثلَ عملِه"[3].

هنا بدأ النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول للصحابي إن انت تدعو إلى الله –سبحانه وتعالى– لكن فيه وقت من الأوقات الدعوة بيكون الأمر فيه صعوبة بمكان، الناس مش هتسمع الكلام، ليه؟ فيه شح مطاع؛ فيه واحد أورث الشح، لما واحد يكون عنده شح شديد فانت محتاج تعالج هذا الشح، عارفين إصلاح الآلة؛ عارفين فيه عربية محتاجة بنزين بس عشان تمشي، فيه عربية محتاجةماية عشان تمشي، فيه جهاز محتاج يتحط بس في الكهربا يتوصل بمصدر الطاقة عشان يشتغل، لكن فيه جهاز بايظ أصلًا حتى لو وصلته بمصدر الكهربا، حتى لو حطيت له بنزين، وحطيت لها ماية هي فيها مشكلة، محتاجة تتصلح الأول. فيه بني آدم عنده مستقبلات طبيعية محتاج إن هو حد بس يعرفه الحق فين وهو ينطلق في الحق، لكن فيه واحد عنده مستقبلات غلط هو محتاج يغير مستقبلاته، يبقى عنده شح مطاع، عنده إن مصلحته الشخصية هي دي المطاعة عنده، هو ما عندوش الحق والباطل ما عندوش معيار الحق المطاع، ما عندوش معيار العدل هو المطاع، ما عندوش الوحي هو المطاع، هو عنده نفسه ومصلحة نفسه هي دي المطاعة، عنده شح، الدين أصلًا مبني على البذل مبني على التصديق والاستسلام، فهو مش قادر مش هيبذل؛ مش هيبذل من وقته، مش هيبذل من ماله، مش هيبذل من نفسه، مش هيبذل من فكره، مش هيبذل فبالتالي هو مهما انت تقول هو فيه حتة مُشْكَلَة محتاجة تتغير الأول، إذا رأَيْتَ شُحًّا مطاعًا وهوًى متَّبَعًا إن هو عنده قصة إن هواه هو اللي بيقوده، ودنيا مؤثَرةً وإعجابَ كلِّ ذي رأيٍ برأيِه ورأيت العجب وإيثار الدنيا والشح واتباع الهوى وأمر لا طاقة لك به، فقال له: عليك بنفسك ودع عنك أمر العوام، فإن من وراءك أيام الصبر.

فيأتي الأمر والنهي معتقدًا أنه مطيعا لله ورسوله وهو معتدٍ في حدوده، هنا بدأ شيخ الإسلام بيقول: لو واحد لقى الحاجات دي وما سمعش كلام النبي –صلى الله عليه وسلم– اللي قال له: في الموقف ده حاول انك تطبق الدين عن نفسك، حاول انك انت تقيم الدين في نفسك، لو لقيت الناس مش هتسمع ولقيت الهوى متبع، ولقيت إن أي كلام هيتقال هيؤول تأويل آخر، ولقيت أن انت هيبقى فيه مفسدة أكبر من المصلحة، ولقيت إن انت لا قدرة لك على التغيير ولا قدرة لك على البيان ولا قدرة لك على الأمر والنهي، فعليك بنفسك يعني انت اصبر على الدين، اصبر على إقامة الدين في نفسك في أبنائك في من تستطيع أن تبلغهم فقط، ودع عنك أمر العوام يعني ما تشيلش هم المسئولية

[3] صحيح ابن حبان





الكبيرة اللي انت مش هتقدر تشيلها، إنما شيل نفسك وشيل من تستطيع، شيل من تعول، شيل مسئوليتك فقط لأنك لن تستطيع أن تتحمل هم العوام اللي هي عموم الناس.

فقال: يأتي بالأمر والنهي معتقدًا أنه مطيع لله ورسوله، يعني الناس اللي فهمت الآية إنها مطلقة دون هذه الحدود اللي النبي –عليه الصلاة والسلام– وضعها اللي هي الشح المطاع والهواء المتبع والدنيا وإعجاب كل ذي رأيٍ برأيه وأمر لا يدان لك به، فشيخ الإسلام هنا بيقول: إن حتى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يا جماعة له فقه له حدود له شروط، مش كله في كل وقت وفي كل حاجة نتكلم ونقول أي حاجة وكل حاجة تغير بالإيد، لا لا لا الكلام ده مش صحيح، الكلام ده محتاج إلى موازنة كيف طبق النبي –صلى الله عليه وسلم–؟

وهنا يا جماعة نقطة مهمة جدًا أن القرآن نزل مطبقا، يعني إيه مطبقا؟ يعني احنا النهاردة بنسمع مثلًا واحد بيدعي يقول أنا مثلًا ليبرالي أو علماني أو غير ذلك، ويبدأ يطلع فكرة جديدة ويقول والله كل واحد يفهم الدين بمزاجه، لا يا جماعة؛ ربنا –سبحانه وتعالى– نزل الوحي وأمر النبي –عليه الصلاة والسلام– أن يطبقه، وأمرنا إن احنا نتبع النبي –عليه الصلاة والسلام–، وقال: "لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ" الأحزاب:٢١، يعني اللي عايز يفهم القرآن هيدور على سيرة النبي –صلى الله عليه وسلم–، اللي عايز يفهم الآية دي معناها إيه؟ هيشوف النبي –عليه الصلاة والسلام– فهمها ازاي، فيه معنى يا جماعة اسمه معنى شرعي، يعني إيه معنى شرعي؟ يعني فيه مصطلحات صُكَّت من جديد، يعني الشرع نقل ألفاظ من معاني لغوية إلى معاني شرعية، يعني كلمة الصلاة في اللغة العربية يعني الدعاء، يعني يقولوا صلى يعني دعا، يعني واحد دعي إلى الطعام فواحد لبى وكان صائم فلبى والآخر قام فصلى، يعني قام دعا لهم، لكن المتبادر إلى الذهن الآن عند جميع المسلمين يعني إيه صلى؟ يعني قام صلى يعني قام قال: الله أكبر وصلى الصلاة المعروفة؛ الألفاظ المعروفة والأذكار المعروفة في الأوقات المعروفة على الهيئة المعروفة، السجود المعروف والركوع المعروف. ده بقى الشرع نقل لفظ الصلاة ده بقى له معنى مختلف عن المعنى اللي كان معروف في اللغة قديمًا، فهنا لو احنا عايزين نفهم الشرع احنا عايزين نفهم معاني ألفاظ القرآن الكريم، لو احنا عايزين نعرف الوحي فلننظر إلى كيف طبق النبي –صلى الله عليه وسلم– هذا الوحي، إن لما نقول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مش معناه الصورة الذهنية سواء الخاطئة أو المرسومة في ذهن كل إنسان، إنما لو عايزين نفهم ده نفهم النبي –صلى الله عليه وسلم– عمل كده ازاي؟ وازاي ربنا أمرنا بده؟ وازاي ربنا تكلم بهذا الكلام؟ وربنا أمر النبي –عليه الصلاة والسلام– إنه ينفذ هذا الكلام، وأمرنا إن احنا نفهم هذا الكلام من كلام الله –سبحانه وتعالى– ومن تطبيق النبي –صلى الله عليه وسلم–.

أمنا أم المؤمنين عائشة تقول: "كان النبي –صلى الله عليه وسلم– خلقه القرآن"، هنا يا شيخ الإسلام بيوضح ضوابط هذا الكلام في ضوء تنفيذ النبي –صلى الله عليه وسلم–، في ضوء معيارية تطبيق النبي –صلى الله عليه وسلم–.

بيقول: إن الناس اللي فهمت خطأً للآية بدأ الفريق التاني من المخطئين في تفسير الآية إنه يعمم نوع معين من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللي هو درجة من درجات الإنكار باليد أو الأمر باليد أو الأمر باللسان أو التطبيق باللسان فقط دون أن يراعي هذه الاعتبارات الشرعية وهذه الحدود الفاصلة اللي ينبغي عندها أن يقف، لإنه بعد كده هيسبب مفسدة عظيمة منهي عنها أصلًا شرعًا.

قال: "فيأتي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر معتقدا انه مطيع لله ورسوله وهو معتدٍ في حدوده، كما نصب كثير من أهل البدع والأهواء نفسه للأمر والنهي"، بيقول زي ما كتير من أهل البدع والأهواء وضع نفسه مكان النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–، وبدأ يعمم أفكاره وتصوراته وحكاياته على الناس، وبدأ يكلم الناس آمرًا بالمعروف وناهيًا عن المنكر متخيلًا إن هو كده بيعمل عمل خير وهو في الحقيقة بينشر كلام غلط، وبينشر أهواءه وأفكاره وتصوراته لا ينشر كلام الله وكلام النبي –صلى الله عليه وسلم–، ولا يأمر بالمعروف الذي أمره الله أن يأمر به ولا ينهى عن المنكر –هنا يا جماعة المعروف والمنكر ده المعروف شرعا والمنكر شرعا– يعني كلمة معروف وكلمة منكر يعني فيه فلان



يقولوا مين فلان يقولوا فلان يا عم ده فلان ده معروف؛ معروف يعني إيه؟ يعني الناس عارفينه، ده مش المقصود، إنما المعروف يعني المعروف عند الله –سبحانه وتعالى– أنه معروف، المنكر يعني المنكر الذي قبحه الله –سبحانه وتعالى– شرعًا، الذي قبحه النبي –صلى الله عليه وسلم– شرعا، الذي رتب عليه إثم فده اسمه منكر، لكن منكر في اللغة يعني واحد نكرة يعني واحد مش معروف واحد مش معرف، منكر في اللغة العربية في الألفاظ يقولوا: الغير معرف؛ وفيه تعريف بالألف واللام وتعريف بالإضافة وفيه أعلام، لكن هنا ده مش المقصود، المقصود هنا المنكر شرعا، المعروف شرعا، يعني الشيء المحمود عند الله –سبحانه وتعالى–، الشيء الممدوح عند الله –سبحانه وتعالى–.

فبيقول إن بعض الناس تفهم الآية غلط وتبدأ تأمر وتنهى على الطريقة التي تراها هي صحيحة دون أن تراعي كلام النبي –صلى الله عليه وسلم– وتطبيق النبي –صلى الله عليه وسلم–، فتفهم الآيات وفق مرادها لا وفق مراد الله –سبحانه وتعالى–.

قال: "كالخوارج والمعتزلة والرافضة وغيرهم ممن غلط فيما آتاه الله من الأمر والنهي والجهاد وغير ذلك وكان فساده أعظم من صلاحه"، بدأ شيخ الإسلام بيقول إن فيه بعض الناس استعملت أساليب خطأً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فأدى ذلك إلى فساد أكبر من الصلاح، وهم متخيلين إن هم بيعملوا الصلاح، كنا عاملين درس اسمه عقلية الخوارج؛ إن الخوارج صحيح هم طائفة من الناس ولهم أفكار خاطئة لكن فيه عقلية فيه طريقة تفكير اسمها طريقة تفكير الخوارج، اللي هي طريقة طائشة واحد مش بيفكر كويس، واحد ما عندوش موازنات، واحد ما بيفهمش الحكمة، معندوش نضج ولا عقل في التفكير، إنما هو عنده تطرف في طريقة تفكيره، للأسف لفظ الخوارج ده بقى عارفين التهمة اللي أي حد مختلف مع أي حد يقول لك ده من الخوارج، يعني بقى كل الناس بتستعمله، يعني أي شيخ بيختلف مع شيخ تاني أو بيختلف مع طائفة من الناس يقول عليهم خوارج، الحكومة لما بتتضايق من حد بتقول عليهم خوارج، الجماعات لما تتضايق من الحكومة تقول عليهم خوارج،

احنا محتاجين نقف مع هذا اللفظ الشرعي اللي استعمله النبي –صلى الله عليه وسلم– وإيه معناه؟ وإيه المفهوم منه؟ وإيه مقصوده؟ وهل ده ينطبق على اللي احنا بنقوله؟ ولا هي تهم الناس بترمي بعضها البعض وخلاص؟

هنا شيخ الإسلام بيقول: إن طائفة اسمها طائفة الخوارج، وطائفة اسمها طائفة الرافضة –اللي هم الشيعة–، وطائفة اسمها طائفة المعتزلة، هذه الطوائف ضلت في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إيه كان سبب ضلالهم؟ سبب ضلالهم إن هم فهموا الآية بطريقة خاطئة فعمموا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد على كل المستويات.

يعني الخوارج فيهم مشكلتين:

المشكلة الأولانية إن هم بيفصلوا بين القرآن والسنة، يعني هو شايف القرآن حاجة وشايف السنة حاجة، اللي هو الراجل اللي قال للنبي –عليه الصلاة والسلام–: اعدل، فقال النبي –صلى الله عليه وسلم– ويلك من يعدل إن لم أعدل؟ هو شايف إن تطبيق النبي –عليه الصلاة والسلام– غير القرآن، فهو قرر ده. ده أول مشكلة الخوارج، إن هو شايف إنه بيفهم الوحي أكتر من النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–، فبدأ يعاتب النبي –عليه الصلاة والسلام– على تطبيق النبي –عليه الصلاة والسلام– للوحي الخاطئ، هو فاهم إن النبي –عليه الصلاة والسلام– طبق الوحي خطأ، وطبعا هو ضل ضلال بعيد إن ربنا –سبحانه وتعالى– زكَّى النبي –صلى الله عليه وسلم– وقال له: "وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ" القلم:٤، ربنا –سبحانه وتعالى– أمر الناس باتباع النبي –صلى الله عليه وسلم–، وقال: "لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ" الأحزاب:٢١، ربنا –سبحانه وتعالى– قال: "قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ" آل عمران:٣١، ربنا –سبحانه وتعالى– ذكر في كتابه الكريم أكثر من سبعين مرة آيات تحض على طاعة النبي –صلى الله عليه وسلم– وعلى الاقتداء بالنبي –صلى الله عليه وسلم– وعلى اتباع النبي –صلى الله عليه وسلم–، ومع ذلك هو قرر إن هو الخوارج ده فكرة، فكرة إن هو شايف نفسه أفهم للدين حتى من النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–.



الفكرة التانية إن هو جريء، إن هو جريء جدًا، يعني بيستحل بسهولة، عنده تطرف، ما بيعرفش يفهم، عارفين فيه ناس كده عندها مشكلة، يقول لك أنا إيه؟ أنا ما بعرفش أجيبها على بعضها، أنا يا كده يا كده، مفيش حاجة اسمها كده، الإسلام بيعلمك انك انت تتوازن، دايما تتوازن في حياتك كلها، عارفين اللي هو انت بتصلي وبعد كده بتنزل الشغل وبعد كده تطلع من الشغل تروح تزور مريض وتعود مريض وبعد كده تطلع على جنازة وبعد كده ترجع تصلي تاني، طب ازاي ألاقي قلبي في الصلاة؟ وازاي ألاقي قلبي في الشغل؟ وازاي آكل من حلال؟ وازاي أبقى زوج؟ وازاي أبقى ابن؟ وازاي أبقى أب؟ وازاي أبقى صاحب؟ وكل مقام من دول مختلف، انت بتقعد مع صاحبك هو صاحبك بيقول لك ازيك يالا؟ وبتهزروا مع بعض بطريقة عادية احنا أصحاب، وبعد كده بتنزل تروح تطلب العلم وبتروح تدرس بتقابل الشيخ بتقابله بكل توقير واحترام، وبعد كده بتنزل انت تشتغل فانت بتبقى في شغلك انت لك مكانة معينة، وبعد كده بتيجي عند أمك بتعامل أمك بطريقة انت ابن؛ انت هنا مش جاي لها الشيخ ولا جاي لها المهندس ولا جاي لها الدكتور ولا جاي لها الباشا، انت جاي لها ابن، اللي تقول لك عليه اعمله، تقول لك انزل امسح، اعمل كذا، ارمي الزبالة، انت جاي هنا ابن، انت جاية هنا زوجة، انت جاي هنا موظف، انت جاي هنا صاحب، انت جاي هنا جار، الإسلام بيعلمك انك تتوازن، انك تعرف تتعامل وتحقق عبوديات مختلفة في أوقات مختلفة.

فيه ناس دماغها أبيض وأسود هو عنده يا أبيض يا أسود، ودي طبعا عقليات هدمها الشرع، كل من له صلة بالشرع يفهم إن الشرع أكثر تفصيلا وأكثر حكمة من هذا التطرف أو هذه المعاملات التي فيها نوع من أنواع الجنوح.

هنا الفريق التاني ده اللي هم الخوارج كانوا عندهم مشكلة في فهم الإيمان، فبالتالي كان عندهم مشكلة في فهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فبدأوا يخرجوا أو بدأوا يكفروا المسلمين، ودي النقطة الثانية إن هم عندهم جرأة على دين الناس إنه بيكفر الناس.

التكفير ده مصيبة إن انت عشان تتكلم في دين واحد ده محتاج منك انك انت هتتسأل يوم القيامة، ربنا يسألك انت قلت على عرض فلان ليه؟ انت قلت على دين فلان كده ليه؟ "وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ –يعني لا تتبع ما ليس لك به علم– إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا" الإسراء: ٣٦.

المعتزلة طائفة من الناس قدمت العقل على الوحي، قدمت العقل على الشرع يعني مش في مجال إن احنا نطرح أوي أفكار الجماعات أو أفكار الفرق، لكن سريعًا كده التلات فرق دول؛ الخوارج المعتزلة روافض الشيعة ضلوا في مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقرروا إن هم يطبقوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالقوة فقط، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عندهم لا يحتاج إلى فقه ولا يحتاج إلى حلم وصبر ونظر في المآلات، إنما هو بالنسبة لهم كده صبة واحدة، هو كلمة واحدة فبالتالي كان عندهم ضلال شديد، واستحلوا دماء كثيرة جدًا وده تسبب في مفاسد عظيمة جدًا.

بعد كده بدأ شيخ الإسلام يتكلم على إن من الموازنات التي أُمرنا فيها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مسألة الصبر على جور الأئمة، قال: "ولهذا أمر النبي –صلى الله عليه وسلم– على بالصبر على جور الأئمة، يعني إيه الأئمة يا جماعة؟ هقول لكم الحكاية من الأول؛ بداية قبل بعثة النبي –صلى الله عليه وسلم– كان الناس بتتحاكم إلى الأهواء، يعني إيه بتتحاكم إلى الأهواء؟ يعني فيه مثلًا قبيلة؛ القبيلة دي بيحكمها فرد، الفرد ده الناس كلها بتمشي يمين على دماغ الفرد أو بتمشي شمال على دماغ الفرد، فكان بيتحاكموا إلى هوى واحد، ده كان موجود، ما كانش موجود في قبائل العرب أوي لكن موجود عند غيرهم، يعني كان موجود في الفرس كان موجود في الروم، كان فيه واحد هو بيمشي السفينة كلها يا يمين يا شمال، فهم كلهم بيتحاكموا إلى هواه، فكان هو أحيانًا بيتكلم بسلطة الإله وأحيانًا بيتكلم بسلطة نفسه، لكن هو في الآخر خالص إيه؟ الجميع تابعون لسلطته هو بالهوى، بعد كده كان فيه قبائل العرب على الصعيد الآخر كان الناس بتتحاكم إلى القبيلة،



يعني أعراف القبيلة؟ ده بقى بيتحاكموا إلى أهواء مجتمعة، يعني مجموعة من الناس كده دول كبراء القبيلة فدول كانوا يمشوا القبيلة يمين وكانوا يمشوا القبيلة شمال.

لما بُعث النبي -صلى الله عليه وسلم- كداعية، النبي -عليه الصلاة والسلام- كان بيدعو الناس إلى عباد الله وحده لا شريك له، وبدأ إنه أصلًا يكلمهم عن عبادة الله وعن تعظيم أمر الله، وبعد كده أذن الله -سبحانه وتعالى- بهجرة النبي -صلى الله عليه وسلم- فأقام النبي -صلى الله عليه وسلم- دولة، هنا لما أقام النبي -عليه الصلاة والسلام- دولة؛ بقى لابد من إقامة نظام سياسي، طب النظام السياسي ده هيقوم على إيه؟ فبدأ يظهر مصطلح شرعي، ربنا -سبحانه وتعالى- أمرنا به اللي هو مصطلح أولو الأمر أو الطاعة، يعني إيه طاعة؟ يعني انت تطيع اللي قدامك، تطيعه ليه؟ فبدأ الصحابة مش متعودين إن احنا نطيع حد، احنا متعودين إن احنا نطيع كبير القبيلة أو متعودين إن احنا نطيع الأقوى، لكن مش متعودين إن احنا نطيع الدين، وبعدين بدأوا يقولوا للنبي -عليه الصلاة والسلام- خلاص احنا ممكن نطيعك انت لكن مش هنطيع حد تاني إلا انت، فبدأ النبي -عليه الصلاة والسلام- يُرسّخ معنى إن فيه حاجة اسمها أمير، فيه حاجة اسمها إمام، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "مَن أطاعَنِي فقَدْ أطاعَ اللَّهَ، ومَن عَصانِي فقَدْ عَصَى اللَّهَ، ومَن أطاعَ أمِيرِي فقَدْ أطاعَنِي، ومَن عَصَى أمِيرِي فقَدْ عَصانِي"[٤]، بدأ النبي -عليه الصلاة والسلام- يُخرِج مثلًا سرية أو غزوة، فيقول لهم مثلًا على الغزوة عبد الله بن جحش، على الغزوة مثلًا أسامة بن زيد، يعني إيه عليها؟ يعني أميرها يعني رئيسها يعني كبيرها، طبعا كبيرها ده ما لوش علاقة بمقام، يعني كان ممكن يكون في الغزوة دي أو في السرية دي أو في المعركة دي واحد يكون أقدم منه وأكبر منه وأعلم منه وأفقه منه وأحب إلى الله منه وأحب إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- منه، ومع ذلك النبي -عليه الصلاة والسلام- كان بيقيم الأمراء على معايير مختلفة تمامًا على معيار إن هو أقدم أو إن هو أعلم أو إن هو أسبق أو إن هو له فضل في الدين.

فبدأ يظهر مصطلح اللي هو مصطلح الولي أو ولي الأمر أو الأمير، المصطلح ده شرعا ده مصطلح استعمله النبي -عليه الصلاة والسلام- ليعلم ناس مسألة إن الأمر الحياتي محتاج مننا إلى تنظيم ومحتاج مننا إلى إقامة عدل، وإن ده مش هيتم بأهواء الناس، تخيلوا كده لو الناس طالعة مثلًا في معركة؛ أسامة بن زيد قائد وبعد كده لما واحد قال له احنا مثلًا هنهاجم بالليل قام قايل له لا أنا مش مقتنع احنا نهاجم الصبح، فقام واحد قال احنا هنطفي النار قام قال له لأ لأ احنا نقيد النار، فواحد بيقول له طب احنا مثلًا قبل ما نهاجم هنطلع تلاتة قال له لأ احنا هنطلع عشرة، هيقعدوا يختلفوا عمر ما أي مهمة هتنجز، ده من المسلمات الحياتية وده معروف على فكرة عند الجميع، الواحد بيتعجب إن ده مشاهد ومعترف به في كل مستويات الأعمال في العالم كله، وبيجي الناس عند الدين تحس إن بقى عندهم مشكلة كده، تحس إن فيه حتة كده بدأت تنور إن ده غلط، يا جماعة هو فيه إيه؟ هو ده نظام مجتمعي عالمي ده في كل حاجة زي السنة المجتمعية.

فالنبي -صلى الله عليه وسلم- بدأ يقول للصحابة إن هم يطيعوا الأمراء اللي النبي -عليه الصلاة والسلام- أمَّرَهم عليهم، وبعد كده بعد موت النبي -صلى الله عليه وسلم- الصحابة اتفقوا على إن يكون أبو بكر الصديق وده كان بتولية النبي -صلى الله عليه وسلم-، وبدأ أبو بكر الصديق يكون خليفة للنبي -صلى الله عليه وسلم-، ثم أبو بكر الصديق حكم بالعدل وحكم بالشرع فماكنش الناس عندهم مشكلة، ليه؟ لأن الشرع هنا التقى مع السلطة، يعني أعلى رأس شرعية هي أعلى سلطة شرعية، يعني هي أعلى سلطة اللي هي خليفة النبي -صلى الله عليه وسلم- اللي هو مدير الأمة رئيس الأمة أمير الأمة هو أعلم الأمة بالشرع، وبعد كده مرت الأيام وبعد كده جاء عمر وبعد كده عثمان وبعد كده علي بن أبي طالب وانقضت الخلافة الراشدة، وكان في الخلافة الراشدة كان أعلى سلطة في الخلافة هو أعلم الناس بالدين، بعد كده بدأ يحصل افتراق؛ افتراق ما بين السلطان والقرآن، افتراق ما بين السلطة الشرعية اللي هي الدين وعلم الدين وإقامة الدين وفهم

[٤] صحيح البخاري ومسلم

الدين وتطبيق الدين، وما بين السلطة السياسية اللي الناس بتحكمها، فقامت الدولة الأموية وقام المُلك العادل ممثلًا في سيدنا معاوية بن أبي سفيان –رضي الله عنه–، وبدأ يحصل انتقال من مسألة إن الناس بتتشاور في أكتر واحد ينفع دينًا ويكون هو الأمير عليهم وإنه يكون قوي أمين، إلى أن بقت مسألة عصبيات وبدأ يحصل نوع من أنواع انتقال الخلافة الرشيدة إلى مُلك عادل، ثم بعد ذلك توالت الأيام والدول، الدولة الأموية وبعدكده الدولة العباسية وبعدكده الدولة العثمانية، لكن في كل ده علماء المسلمين عبر العصور بيقولوا هؤلاء حتى وإن انتُقِصَ عقد الطاعة ما بين المسلمين وبين هذا الخليفة أو هذا الأمير أو هذا الملك أو هذا السلطان عليهم لكن يبقى له حكم الطاعة العام، عندنا فيه ناس خالفت زي مثلًا الخوارج قال لك لا احنا هم بيبقى ما عندهمش مشكلة خالص إن هم يسفكوا الدماء لأي حد، لأن هو أصلًا مبني تفكيره أصلًا –تفكير الخوارج– مبني على عقيدة إن اللي ما بيعجبوش بيكفره، وهو شايف إن هو نفسه أعلى من أي حد في الدين، حتى هو نفسه أعلى من النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–، وغيرهم من أهل البدع أيضًا كانوا بيخرجون بالسيف، عارفين يا جماعة فيه تلاتة من الخلفاء الراشدين ماتوا مقتولين؛ عمر بن الخطاب مات مقتول، عثمان بن عفان مات مقتول، علي بن أبي طالب مات مقتول، ولكن لأنهم خلفاء راشدين لم يتخذوا حراسًا، لإن هو بيقول لك أنا رجل دين أصلًا مش محتاج حراسة، أنا راجل عايش عشان الدين وهموت عشان الدين، لكن معاوية بن أبي سفيان –رضي الله عنه– حول الأمر إلى ملك، معاوية بن أبي سفيان بنى القصور وعمل حراس، وكانت دي نقطة فاصلة وتحول تاريخي في أمة الإسلام.

ابن خلدون في مقدمته اعتذر لسيدنا معاوية بن أبي سفيان وقال إن الأمم وسنن الله في إقامة الدول والمجتمعات لا تقوم إلا على العصبات، وإن اللي النبي –صلى الله عليه وسلم– عمله والخلافة الراشدة دهكان استثناء من كل السنن الكونية والاجتماعية، يعني النبي –عليه الصلاة والسلام– استطاع إن هو يقيم شيء على الدين وهذا الشيء استمر أربع خلفاء، ودي في سابقة لم تحدث في أي تاريخ عبر ذلك، لكن الطبيعي إن كان لابد إن الدين عشان يقوم لابد إن يكون فيه عصبة تحميه، فبيقول إن سيدنا معاوية بن أبي سفيان أنقذ الإسلام، يعني هو على عكس كتير من المؤرخين اللي كانوا بيهاجموا سيدنا معاوية وبيهاجموا ابنه وبيهاجموا انتقال الحكم من الخلافة إلى الملك، ابن خلدون اعتبر ذلك شيء محمود، ليه؟ قال لأن ده كان إنقاذ للإسلام على عكس النصرانية واليهودية وغير ذلك، لولا إن معاوية فعل ذلك لضاع الدين، لإن الدين السنن المجتمعية بتقول إنه لا يقوم إلا على العصبات وكان أقوى عصبة في هذا الوقت هي عصبة بني أمية، فكان فعل معاوية إنقاذ للدين.

الشاهد اللي أنا عايز أقوله أنا بس كل ده عشان أوضح نقطة يعني إيه الأئمة، الأئمة دول الناس اللي مفروض إنها بتحكم بالشرع، الأمر اختلف من دولة لدولة ومن حقبة لحقبة، بدأت الدولة الأموية وبعدكده الدولة العباسية وبعدكده الدولة العثمانية وبعدكده جاء الاستعمار وبعدكده بدأت حاجة اسمها الدولة القومية دي دولة مختلفة تمامًا عن اللي احنا بنتكلم فيه، إن الدول اللي احنا بنتكلم فيها دي الأموية والعثمانية والعباسية ودولة الخلافة، دي كلها كانت بيحكمها شرع لكن لما جاءت الدولة القومية؛ الدولة القومية مسألة مختلفة إن المحور فيها مش الدين، إنما المحور فيها هو الوطن، الأرض، الحدود، بيوالوا ويعادوا على الحدود، بيبقى معيار الحب والكره على الحدود، بقى فلان مفروض إن له ترتيب معين لإنه مجنس بجنسية معينة، بغض النظر عن دينه، يعني بغض النظر هو دينه إيه؟ بغض النظر هو بيؤمن بربنا والا مش بيؤمن، على عكس دولة النبي –صلى الله عليه وسلم–.

الشاهد إن لفظ الإمام ده هو لفظ استعمل شرعًا لبيان صاحب السلطة الذي يحكم في الناس بالشرع، طيب، افرض الراجل ده اللي بيحكم الناس بالشرع ده عنده مشكلة، عنده مشكلة مثلًا إن هو بيعمل معصية إن هو فيه بعض الظلم، فيه بعض المشاكل، طب نعمل إيه؟ هل الناس تسكت؟ هل الناس تنكر؟ هل ناس تهيص تعمل إيه؟ فهنا النبي –صلى الله عليه وسلم– أمر بالصبر على جور الأئمة، لحد فين؟ قال



لحد حد معين؟ شيخ الإسلام بقى بيقول إن ده من الفقه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إن ليه النبي –عليه الصلاة والسلام– أمر بده؟ شيخ الإسلام بيرضح إن النبي –عليه الصلاة والسلام– لما هو بيتكلم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال إن المسألة لها ضوابط، فشيخ الإسلام بيستدل على هذه الضوابط وهذه الموازنات بنهي النبي –صلى الله عليه وسلم– عن الخروج على الأئمة، فقال: "ولهذا –يعني لهذا الاعتبار من اعتبار المصالح والمفاسد والموازنات– أمر النبي –صلى الله عليه وسلم– بالصبر على جور الأئمة"، يعني لما يكون فيه إمام وجار على الناس، وفعل فيه نوع من أنواع الظلم، هل الناس مجرد ما حصل كده تقوم تخرج عليه؟ قال طب خلاص خلينا نمشي في السلسلة دي، طيب الراجل عمل مظلمة وده اللي حصل مع سيدنا عثمان بن عفان بعض الناس رأت أنه فعل مظلمة، طب عملوا إيه؟ قاموا قايمين قتلوه، طب إيه اللي حصل لما قتلوه؟ هل حلت المشكلة؟ لا، وحصل مع علي بن أبي طالب؟ بعض الناس قالت لك ده علي بن أبي طالب عمل حاجة غلط، قام قتلوه، عارفين سلسلة القتال المستمرة اللي ما بتنتهيش؟ سلسلة الفساد المستمر ما بتنتهيش، ليه؟ لأن هو شايف إن فيه خطأ، فلذلك إن الناتج اللي انت عملته بعد ما بعض الناس يتخيل إن كده دي شجاعة، لا ده مش شجاعة، لأن انت ربما تتسبب في مفسدة أعظم من المصلحة اللي انت ترجوها، انت كنت قايم عشان إيه؟ يعني اللي قام قتل عثمان بن عفان ده، تخيلوا قتل عثمان بن عفان ليه؟ قال لك أصل عثمان بن عفان ما بيطبقش الشرع، تخيلوا كده، طيب عثمان بن عفان ما بيطبقش الشرع زي مين يعني؟ ما بيطبقش الشرع زي أبو بكر، لا شك إن عثمان ما بيطبقش الشرع زي أبو بكر، أبو بكر أفضل من عثمان بن عفان، لكن هل انت متخيل إن انت لما تقوم وتقتل عثمان بن عفان؟ انت هتلاقي حد تاني هيحل لك المشكلة يكون يجتمع عليه الجميع؟!

فشيخ الإسلام هنا بيستدل بأمر المصالح والمفاسد والموازنات، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال ولهذا أمر النبي –صلى الله عليه وسلم– بالصبر على جور الأئمة، طبعا ده يا جماعة على نقطة اللي احنا بنتكلم فيها على نقطة الإيه؟ الدول التي توارثت حكم الشرع من جيل إلى جيل وكانت تحكم بالقرآن.

الدولة القومية أمر مختلف تماما، الدولة القومية الوطنية دي مسألة مختلفة تماما، يعني أنا أظن إن هي لو كانت على عهد عمر لجمع أهلها أهل بدر، مسألة كبيرة وواسعة وفيها تفاصيل كتيرة واعتبارات كتيرة، بعض الناس عندنا برضه متطرفين، عندنا واحد اعتبر إن دي هي دولة الخلافة؛ دولة النبي –صلى الله عليه وسلم– وأسقط عليها كل الأحكام التي كانت موجودة على عهد النبي –عليه الصلاة والسلام– لمجرد تشابه الألفاظ إن ده إمام وده إمام، وبعض الناس العكس تماما قال لك لا لا لا ده غلط وفيه مخالفات شديدة فبالتالي قرر إن هو يكفر كل اللي موجودين، وده تطرف شديد الأمر، فيه تفاصيل كتيرة، فيه اعتبارات كثيرة.

شيخ الإسلام بيقول يا جماعة إن الموازنات مهمة جدًا في فقه وفهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هل الدولة القومية هي دولة النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–؟ لا يقينًا. هل الدولة القومية هي دولة مناوئة ومعادية للرسول –صلى الله عليه وسلم–؟ أيضًا لا الأمر فيه تفاصيل كثيرة وفيه اعتبارات كثيرة ويحتاج إلى فقه.

فهنا شيخ الإسلام بيستدل بمسألة الموازنات على أمر النبي –عليه الصلاة والسلام– بالصبر على جور الأئمة، قال: "ونهاهم عن قتالهم ما أقاموا الصلاة" فهنا شيخ الإسلام بيقول إن النبي –عليه الصلاة والسلام– قال لهم ما حدش يقاتل الأئمة، قالوا له طب افرض يا رسول الله عملوا وعملوا وعملوا قال لهم ما دام بيقيموا الصلاة ما حدش يقاتلهم، هنا النبي –صلى الله عليه وسلم– يا جماعة بيوضح مفهوم ويوضح نهاية وغاية لهذا المفهوم، يعني قال لهم ما حدش يخرج "إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فيه بُرْهَانٌ"[٥]، أو إلا إن تروا معصية الله بواح أو

[٥] صحيح مسلم

"لا، ما أقامُوا فِيكُمُ الصَّلاةَ"[٦]، أو "ما أقامَ فيكُم كِتابَ اللهِ"[٧]، يعني فيه مجموعة من الاعتبارات قالها النبي –صلى الله عليه وسلم– لكن مش ده مجالنا دلوقتي. واحنا بنتكلم في السنة الشرعية إن شاء الله ممكن نبقى نتكلم في ده.

لكن النبي –صلى الله عليه وسلم– هنا يا جماعة بيتكلم على جور الأئمة والصبر عليهم ويوضح غاية ذلك، وشيخ الإسلام بيستدل بهذا الحديث على إن الموازنات مهمة جدًا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقال: أدوا إليهم حقوقهم وسلوا الله حقوقكم، ودي يا جماعة قاعدة مهمة جدًا، إن أحيانًا انتِ مع زوجك، انت في مجتمعك، انت في شغلك، أحيانًا انت أما بتيجي تشتغلي في الدين، بتلاقي اللي قدامك بيظلمك، وانت مش قادرة تعملي حاجة، فهنا هل نظلمه عشان ظلمنا؟ هل مثلًا اللي قدامنا بيعمل فينا حاجات مش ظريفة، بيتعامل معانا تعامل مش ظريف؟ هل نتعامل معاه بالطريقة اللي هو بيتعامل معانا بها؟ ولا العكس؟ فهنا شوفوا النبي –عليه الصلاة والسلام– يوضح لنا مفهوم ومعيار مهم يقول: أدوا إليهم حقوقهم وسلوا الله حقوقكم، قال اعمل عليك، ابدأ باللي عليك، ابدأ بنفسك لا يضركم من ضل عليكم أنفسكم، اجتهد انت في طاعة الله –سبحانه وتعالى–، والله يكفيك إن شاء الله –سبحانه وتعالى–.

فبدأ شيخ الإسلام يتكلم على إن الناس اللي فهمت الآية غلط، وقررت إنها تعمم مفهوم الآية على إن هو فهم إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد فقط، قال: "ولهذا كان من أصول أهل السنة والجماعة لزوم الجماعة وترك قتال الأئمة وترك القتال في الفتنة"، بيقول إن ده من المصالح والمفاسد ده مما أمرت به الشريعة، إيه اللي أمرت به الشريعة؟ إن المسلمين ما يقعدوش يقتلوا في بعض، وإن المسلمين ما يبقوش عندهم مثالية، وأن المسلمين ما يعتبروش إن اللي قدامهم ده بما إن هو في موضع مسئولية إن هو يكون نبي من الأنبياء، إن هم يفهموا إن فيه مساحة من مساحات الأخطاء وإن فيه مساحة من مساحات البشرية، إن النبي –صلى الله عليه وسلم– بيعلمنا والعلماء وضحوا أو بينوا والتقطوا هذا المعنى من كلام النبي –صلى الله عليه وسلم– وجعلوها معيار، يعني قال لك من أصول أهل السنة والجماعة من الأصول العامة هتجد ده في كتب السياسة الشرعية أصلًا، يعني الكلام ده حقيقة محله في كتب السياسة الشرعية وتفاصيله في كتب السياسة الشرعية، أمال هو ليه اتحط في كتب العقيدة؟ أحيانًا لما تيجي تدرس عقيدة تقول ولا نخرج على أئمتنا، ومثلًا تجد في كتب العقيدة من أصول أهل السنة والجماعة ترك قتال الأئمة وترك القتال في الفتنة، طب إيه علاقة ده بالعقيدة؟ قال لك: لأن المسألة دي فيه ناس ضلت فيها وناس استحلت الدماء فيها وناس سفكت الدماء فيها، والناس دي بقت فرقة بقت واضحة زي الخوارج زي المعتزلة زي الرافضة وقتلوا كتير من المسلمين لذلك بقت معيار من معايير أهل السنة والجماعة هذا الباب.

طبعا يعني أنا بقول لكم إن فيه فرق إن احنا نفهم الدين ونفهم تفاصيله، وفرق إن احنا لما نيجي نسقطه على الواقع، إسقاط الدين على الواقع يا جماعة محتاج –وبالذات الواقع اللي احنا عايشين فيه ده والواقع الذي كثر فيه الاختلاط– حقيقةً محتاج مجامع فقهية، مش محتاج رأي فقيه واحد ولا عالم واحد، المسائل في واقعنا المعاصر، فيها اعتبارات كثيرة جدًا، ومش محتاجة بس نصوص قد ما هي محتاجة فهم للنصوص وفهم للواقع وحكمة في إسقاط النصوص على الواقع.

بيقول بقى شيخ الإسلام على مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن الناس اللي فهمت الكلام ده غلط بيقول: "تجعل المعتزلة – المعتزلة دي فرقة من الفرق التي ضلت عبر التاريخ– وعلى فكرة مش معنى كلمة ضلت عبر التاريخ مش معناها إن هم كفار، إنما معناها إن هم عندهم نقطة أو عدة نقاط خاطئة، هل هم كفار؟ لا لا لا دول فرق من فرق المسلمين، يعني دول ناس من المسلمين عملوا لنفسهم كده فريق، وبدأوا يفرقوا الناس، قال لك مين اللي معانا؟ ومين اللي مش معانا؟ وبدأوا يحطوا معايير وشروط يمتحنوا الناس على هذه المعايير

[٦] صحيح مسلم

[٧] أخرجه مسلم والترمذي وأحمد



والشروط، كأنه داخل إيه؟ كأنه داخل يعني إيه داخل فريقهم، وبدأ الشروط والمعايير دي بدأ يرتب عليها أحكام شرعية، طبعا ده كله مخالف لكلام النبي –صلى الله عليه وسلم– من مسألة تفريق الناس على مسائل معينة غير مسائل المجملات الشرع، الشرع هو فقط الذي يُفرق عليه الناس، يعني "فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ" التغابن:٢، الفرقان هو الوحي، لكن مسألة من تفاصيل الوحي نعرف نفرق عليها الناس؟ لا لا لا ده كلام خاطئ تماما، فهم اختاروا مجموعة من القضايا وبدأوا يفرقوا الناس عليها.

فبيقول: "وتجعل المعتزلة أصول دينهم خمسة؛ التوحيد اللي هو سلب الصفات، بدأوا عندهم مشكلة في سلب صفات الله –سبحانه وتعالى– وجعلوا ذلك اسم التوحيد، يا جماعة فيه نقطة مهمة جدًا معذرة إن أنا محتاج أكررها مرة واتنين وتلاتة، مسألة استعمال الألفاظ الشرعية في غير مسمياتها، لفظ الأئمة؛ مش إن فلان اسمه إمام إن هو يطلق عليه كل أحكام الأئمة المترتبة في الشرع، يعني هم اخترعوا معنى معين للتوحيد، اللي هو سلب صفات الله –سبحانه وتعالى–، كانوا بيؤمنوا إن احنا لابد أن ننفي عن الله –سبحانه وتعالى– كل ما لا يليق به واعتبروا إن الصفات مما لا يليق بالله –سبحانه وتعالى–، الصفات يعني صفة الرحمن صفة العزيز صفة القيوم صفة القدير صفة الجبار، اعتبروا إن صفة الكلام هذه صفات لا ينبغي أن تُنسب إلى الله، ليه؟ هم أرادوا يُنزهوا الله، أرادوا إن هم يعظموا الله –سبحانه وتعالى– لكن فهمهم كان ضيق في هذا، ففهموا بفهم قاصر إن الصفات دي من الأشياء التي تقدح في تنزيه الله –سبحانه وتعالى–، فاعتبروا إن سلب الصفات هو معنى التوحيد، وسموا ده التوحيد.

هل أنا لما أقول التوحيد إن احنا نوحد الله –سبحانه وتعالى– ونقول لا إله إلا الله هل معناه وصورته الذهنية إن أنا أسلب الصفات؟ لا طبعا، هم اعتبروا إن اللفظ ده لفظ التوحيد معناه كذا، فلذلك يا جماعة مهم جدًا إن احنا لما نيجي نستعمل أي لفظ شرعي إن احنا نعرف معناه فين؟ فيه ألفاظ كتير جدًا تم تغيير مدلولاتها؛ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الجهاد حتى الحجاب فيه ألفاظ كتير جدًا تم تشويهها وتم استعمالها في غير موضعها وبدأت الناس تنقسم عليها فرق وأحزاب وتصرفات ولو الناس رجعت تشوف النبي –عليه الصلاة والسلام– استعمل اللفظ ده فين والمعنى الشرعي للفظ ده إيه؟ واستعمالاته ازاي؟ والنبي أصلًا طبقه ازاي؟ وربنا أمر به ازاي؟ هيجدوا إن فيه كتير جدًا من مساحتهم بدأت تهدى ومساحات أفكارهم بدأت تستقر ومساحات معاملاتهم بدأت تهدى وحياتهم بقت أجمل مع كتاب الله –سبحانه وتعالى– ومع سنة النبي –صلى الله عليه وسلم–.

فبيقول إن المعتزلة جعلوا أصول دينهم خمسة؛ يعني التوحيد اللي هو سلب الصفات، العدل اللي هو تكذيبه بالقدر، المنزلة بين المنزلتين، المنزلة بين المنزلتين يعني إيه؟ عندنا الإسلام يا جماعة إن النبي –عليه الصلاة والسلام– قال في حديث جبريل ما الإسلام؟ ما الإيمان؟ ما الإحسان؟ فيه درجات للإسلام: الإسلام والإيمان والإحسان، ربنا –سبحانه وتعالى– قال في كتابه: "ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ" فاطر:٣٢، ربنا استعمل ألفاظ فيه لفظ اسمه مؤمن ولفظ اسمه كافر ولفظ اسمه منافق، ودول درجات، الإيمان درجات والنفاق درجات والكفر درجات والإحسان درجات والإسلام درجات، فيه واحد مرة ده اسمه واصل بن عطاء كان بيحضر درس لشيخه اللي هو الحسن البصري وبعد كده سُئل الحسن البصري سؤال عن واحد بيزني، واحد يرتكب كبيرة من الكبائر، فقال له: الراجل ده مؤمن؟ قال له: آه، مؤمن. قال له: يعني يُطلق عليه مؤمن؟ قال له: لا، هو عنده إيمان لكنه ما يطلقش عليه المؤمن، لفظ المؤمن ده بيُطلق للمدح، فهو عنده جزء من الإيمان اللي به أسلم، لكن هو لا يطلق عليه اللفظ المحمود عند الله اللي هو المؤمن، اللي هي المرتبة الثانية درجة من درجات الإسلام اسمها درجة المؤمنين، فقال له: يعني هو كافر؟ قال له: لا، هو مش كافر، فقال له: يعني هو مسلم؟ قال له: هو مسلم، يعني هو ارتكب الكبيرة وهو مسلم ومعاه قدر من الإيمان به أسلم، لكن اللفظ الإيماني اللي هي درجة



الإيمان المحمودة عند الله الممدوحة عند الله اللي بها إنسان يدخل الجنة دون أن يُعذَّب هو لم يصل إلى هذه الدرجة لإنه ارتكب الكبيرة مختارًا ولم يتب منها، فواصل ما عجبوش الكلام ومشي وساب المجلس، وبعدكده اعتزل واصل بن عطاء مجلس الحسن، ولذلك سموا المعتزلة.
فبعدكده سُئل واصل قال له طيب انت ما قولك في مرتكب الكبيرة؟ يعني مرتكب الكبيرة المعتزلة بيقولوا هو مش مؤمن وهو مش كافر، قال له يعني هو مش مؤمن ومش كافر أمال هو إيه يعني؟ يعني هو مش مسلم قال له لا مش مسلم، قال له طب هو كافر؟ قال له لا مش كافر، قال له أمال هو إيه؟ قال له في منزلة بين المنزلتين، فهم اخترعوا حاجة كده في الدين جديدة، اسمها منزلة بين المنزلتين في الإيمان.
ويقولوا بإنفاذ الوعيد، الوعيد ده إن ربنا –سبحانه وتعالى– إذا توعد عبد فإن الله –سبحانه وتعالى– برحمته –رحمته وسعت كل شيء– إن ممكن العبد ربنا –سبحانه وتعالى– يرحمه إذا كان من أهل التوحيد، هم بيقولوا بإنفاذ الوعيد وإن الوعيد لا يتخلف، أهل السنة بيقولوا إن الوعد لا يتخلف لكن الوعيد أحيانًا ربما هو واقع تحت مشيئة الله –سبحانه وتعالى–، ربما يرحم الله –سبحانه وتعالى– هذا العبد يعني ممكن عبد يعمل معصية والمعصية دي عليها وعيد شديد في الدنيا لكنه إذا مات على التوحيد ربما يغفر الله –سبحانه وتعالى– له، لكن المعتزلة بيقولوا إن الوعيد ينفذ والوعد ينفذ أيضًا.

وطبعا المسألة الخامسة التي خالفوا فيها أهل السنة والجماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي فيه قتال الأئمة إن هم قرروا إن هم يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر وإن هم يقاتلوا الأئمة، فقتال الأئمة عندهم مسألة مضطردة؛ يعني ما بيحسبوش مسألة المصالح والمفاسد في هذا.
شيخ الإسلام بيقول إن يا جماعة ده خطأ طبعا في فهم الآية، "وجماع ذلك داخل في القاعدة العامة فيما إذا تعرضت المصالح والمفاسد والحسنات والسيئات أو تزاحمت فإنه يجب الترجيح، ترجيح الراجح منهما فيما إذا ازدحمت المصالح والنفس وتعارضت المصالح والمفاسد، فإن الأمر والنهي وإن كان متضمنًا لتحصيل المصلحة ودفع مفسدة فينظر في المعارض له، فإن كان الذي يفوت من المصالح أو يَحْصُل من المفاسد أكثر لم يكن مأمورًا به، بل يكون محرمًا إن كانت مفسدته أكثر من مصلحته".
هنا بدأ الشيخ الإسلام يا جماعة بيقول إن أحيانًا بيكون فيه مفسدة ومصلحة وإن مبنى الشريعة قايم على إقامة أعظم المصلحتين ودفع أعظم المفسدتين، إقامة أعظم المصلحتين بتفويت أدنى المصلحتين وتحصيل أعلاهما، يعني لو أنا عندي تعارض مصلحة ومصلحة وأنا لازم اختار، أعمل إيه؟ فقال لي انت ممكن تفوت مصلحة دنيا لأجل تُحصل مصلحة كبرى، ولو أنا عندي تعارض مفسدتين هما مفسدتين يعني الاختيارين وحشين، بس انت لازم تختار، هتختار إيه؟ فيه واحد يقول لك لا لا أنا مش هختار وخلاص فيُعرض فطبعا ده ما انت بتتسبب في إن مفسدة كبيرة بتحصل، فهنا إذا تعارضت مفسدة قليلة ومفسدة أكبر منها، نعمل إيه؟ فمبنى الشريعة شيخ الإسلام يوضح إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر محتاج إلى مراعاة المصالح والمفاسد، ولذلك كان أمر النبي –صلى الله عليه وسلم– مراعاة لمصالح والمفاسد في مسألة الأمر بالصبر جور الأئمة، وبمسألة مراعاة الموازنات في أثناء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، سواء كان بقى مع الأئمة أو مع غيرهم.
ووضح شيخ الإسلام إن فيه فرق خالفت في ذلك زي الخوارج وزي المعتزلة والروافض. قال: "فإن الأمر والنهي وإن كان متضمنًا لتحصيل المصلحة ودفع مفسدة فيُنظر في المعارض له" إن أحيانًا انت هتحصل مصلحة بس هيحصل لك مفسدة من وراء مصلحة، أو أحيانًا انت هتدفع مفسدة لكن دفع المفسدة ده هيؤدي إلى مفسدة أكبر، ده مش بس كده ده أنا أحيانًا ممكن أحصل مصلحة لكن وأنا بحصل مصلحة أفوت مصلحة تانية كان ممكن أحصلها أحسن، عارفين التاجر الشاطر التاجر اللي بيفكر كويس قوي اللي يقول لك أنا خسرت في الموسم تقول له خسرت ازاي يا عم؟ انت كنت داخل الموسم مثلًا وانت معاك راس مال ميت ألف وطلعت من الموسم وانت معاك راس مال مية وسبعين ألف، ما انت كده كسبان سبعين ألف، يقول لك لا لا أنا خسرت فعلا لأن أنا ممكن أطلع من الموسم ده وراس مالي متين وخمسين ألف، فأنا كان مفروض إن أنا آخد القرار الصح عشان أكسب أكتر.



فهنا شيخ الإسلام بيوضح لنا إن المصالح والمفاسد انت أحيانًا بتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، ويكون أمرك ده بيفوت مصلحة أكبر، أو يكون نهيك ده يترتب عليه مفسدة أكبر، أو إن يكون أمرك ده انت فعلا أمرت بحاجة حلوة جدًا لكن كان ممكن تؤمر بحاجة أعظم منها، أو نهيك ده انت فعلا نهيت عن منكر، لكن انت فوتي مفسدة أكبر كان ممكن تنهي عنها، فبيقول إن المسألة محتاجة حكمة، محتاجة موازنات، محتاجة علم.

فإن الأمر والنهي وإن كان متضمنًا لتحصيل المصلحة ودفع مفسدة، في المعارض له، فإن كان الذي يفوت من المصالح أو يحصل من المفاسد أكثر يعني لو واحد هيترتب على أمره بالمعروف أو نهيه عن المنكر مفسدة أكبر لم يكن مأمورًا به، طب إيه ده؟ يعني يا جماعة فيه حاجة اسمها الأمر الشرعي للشيء وفيه حاجة اسمها أمر شرعي لغير الشيء، يعني أحيانًا انت بتؤمر إنك تعمل طاعة لذاتها لأن دي تحقيق العبودية، وأحيانًا إنك تؤمر إنك ما تعملش طاعة مش لذات الطاعة إنما لغيرها، يعني لِما يترتب عليها.

فشيخ الإسلام بيلفت نظرنا هنا لمسألة مهمة جدًا، لإن أحيانًا انت بتسكت عن المنكر، ليه بسكت عن المنكر؟ لأن ده هيترتب عليه مفسدة أكبر، أحيانًا انت ما بتأمرش بالمعروف، طب ليه ما بأمرش بالمعروف؟ ما أنا أُمِرْت إن أنا آأمر بالمعروف، لأن انت كان فيه معروف ممكن تؤمر به أحسن، أو لأن انت هيترتب على المعروف ده تضييع مصلحة أكبر، أو هيترتب على الأمر بالمعروف ده مفسدة أعظم، فبالتالي الأمر محتاج موازنة.

قال: "لكن اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشرع، فمتى قدر الإنسان على اتباع النصوص لم يعدل عنها" دي نقطة بقى يا جماعة مهمة جدًا جدًا جدًا، يعني إيه مصالح ومفاسد؟ فيه ناس متخيلة إن المصالح والمفاسد بهواها برأيها بفكرها بتصوراتها بأمنها باحترامها باحترام الناس لها، لكن الأمر والمصالح والمفاسد ده أمر معتبر شرعا، تعالوا نشوف كده سيدنا موسى وهو بيراعي المصالح والمفاسد، ولنا في أنبياء الله أسوة حسنة، "أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ" الأنعام: ٩٠، ربنا أمرنا إن احنا نقتدي بدعوة الأنبياء، وأمر النبي –صلى الله عليه وسلم– إن يقتضي بدعوة الأنبياء، وأمرنا أن نقتدي بدعوة الأنبياء وبدعوة النبي –صلى الله عليه وسلم– خاصة، لأن أحيانًا بيتعارض دعوة الأنبياء مع دعوة النبي –صلى الله عليه وسلم–، فشرع من قبلنا ليس ملزم لنا، إنما شرعنا هو الذي ملزم لنا، وشرعنا ناسخ لكل الشرائع، ربنا –سبحانه وتعالى– أنزل كتاب مهيمنًا على الكتب السابقة.

فهنا لو اعتبرنا مقادير المصالح والمفاسد، هل نعتبرها بدماغنا، بأفكارنا، بتصوراتنا، برؤيتنا، بأفكارنا، بأفكار أصحابنا، بأهواء أصحابنا، بآراء أصحابنا؟ ولا بمعيار الشرع؟ هنا نقطة من أهم النقاط التي تميز بها شيخ الإسلام عن غيره من مشايخ عصره، بل من النقاط المميزة جدًا له، مسألة الاكتفاء بالوحي، مسألة معيارية الوحي، إن يا جماعة لما نيجي نقيس هنقيس بالشرع مش بنقيس بدماغنا مش بهوانا، يعني سيدنا موسى لما ذهب إلى فرعون الذي طغى، والذي قال: أنا ربكم الأعلى، والذي قال: ما علمت لكم من إلهٍ غيري، هل سيدنا موسى هنا راعى المصالح ولا ما راعهاش؟ رعاها طبعا، طب إيه ده؟ طب ما ده كان ممكن يترتب عليه إن سيدنا موسى يموت، طب ما ده كان ممكن يترتب عليه إن بني إسرائيل يحصل فيهم مشكلة، طب ما ده كان ممكن يترتب عليه حاجات كتير جدًا، أيوه، بس هي المصلحة الكبيرة إن الله –سبحانه وتعالى– يُعبد في الأرض، وإنه يُعلن إقامة دين الله –سبحانه وتعالى–، وإن دين الله يبين للناس.

طيب هو غلام الأخدود لما راح في قصة البروج، هو كده راعى المصالح والمفاسد؟ آه راعى المصالح والمفاسد، أمال النبي –عليه الصلاة والسلام– قص لنا القصة دي ليه؟ عشان احنا نمصمص شفايفنا ونعيط؟ لا، هو علمنا القصة دي في حديث في صحيح مسلم النبي –عليه الصلاة والسلام– علمنا تفسير سورة البروج ربنا أنزلها من فوق سبع سماوات عشان نعرف إيه المصالح المعتبرة شرعًا وإيه المصالح الغير معتبرة شرعًا.



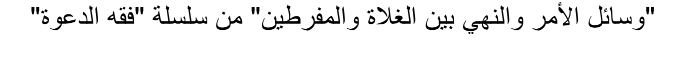
فهنا شيخ الإسلام بيشير إلى معنى مهم جدًا من المعاني بعد ما تكلم عن الرفق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اتكلم على المصالح والمفاسد والحكمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بيقول: "ولكن اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشرع فمتى قدر الإنسان على اتباع النصوص لم يعدل عنها، والا اجتهد رأيه لمعرفة الأشباه والنظائر وقل أن تعوز النصوص من يكون خبيرًا بها وبدلالتها على الأحكام" هنا شيخ الإسلام يا جماعة بيقول إن علينا اتباع النص، إن واحد بيقول أعمل إيه؟ أنا مش عارف أروح فين؟ أنا ما عدتش عارف أسمع مين ولا مين؟ أنا ما عدتش عارف أروح فين؟ أنا نفسي أقرب من ربنا ومش فاهم، فهنا شيخ الإسلام بيدلنا على الحق قال: اتبعوا الوحي، إن انت عمرك ما هتتبع الوحي وتضل، قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "إِنِّي تارِكٌ فيكم مَّا إِنْ تمسَّكتُم بِهِ لنْ تضِلُّوا بعدي"[٨] كتاب الله وسنتي، "وعلى هذا إذا كان الشخص والطائفة جامعين بين معروف ومنكر بحيث لا يفرقون بينهما، بل إما أن يفعلوهما جميعًا أو يتركوهما جميعًا، لم يجز أن يؤمروا بمعروف ولا أن يُنْهَوا عن منكر"، بمعنى: واحدة مثلًا متبرجة لكنها بتقيم العدل، واحد مثلًا إنسان صادق أمين في بابه لكنه مثلًا مدخن، طيب دلوقتي لو أنا نهيته عن المنكر في الحاجة اللي بيعملها غلط أنا هضيع عدله وأمانته وفي نفس الوقت أنا نهيته عن منكر، فهيضيع الحاجتين مع بعض، أو لو واحدة أنا أمرتها بالمعروف فعلا هتعمل المعروف ده بس أنا فقدت ميزة كبيرة جدًا لأن المنكر عندها ملتبس بالمعروف، احنا دايما عندنا يا جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أبيض وأسود، هنا شيخ الإسلام بيقول: لأ، افرض ما طلعوش أبيض وأسود؟ افرض كانوا كاروهات؟ يعني افرض كان الأبيض مربع والأسود مربع وجوة المربع الأبيض كان فيه حتة سودا وجوة المربع الأسود كان فيه حتة بيضا هنعمل إيه؟ هنأمر ولا ننهى؟ ده الموضوع محتاج نحات، الموضوع محتاج جراح يعرف يشيل النقطة السودة ويسيب النقطة البيضا، ومحتاج فقه عالي جدًا.

بيقول: "وعلى هذا إذا كان الشخص أو الطائفة جامعين بين معروف ومنكر" شيخ بيدل الناس على الله وعنده حاجات كتير حلوة لكنه عنده بدع، طيب نعمل إيه؟ هل ننهى الناس عن الذهاب إليه؟ طب ما فيه حاجات كثير في الدين هتضيع، طب هل نأمر الناس بأن تذهب إليه؟ طب هم هيتعلموا حاجات كتير وفيه حاجات فيها بدع، طب نعمل إيه؟ فبيقول: "إذا كان الشخص أو الطائفة جامعين بين معروف ومنكر بحيث لا يفرقون بينهما" مفيش، الأبيض والأسود معدوش كاروهات، ده بقوا عجينة، "بل إما إن يفعلوهما جميعا أو يتركوهما جميعا".

يعني فيه واحد بيعظم النبي –صلى الله عليه وسلم– بس طريقته في تعظيم النبي –عليه الصلاة والسلام– غلط، فأنا دلوقتي لو جيت نهيته عن هذه الطريقة هو ما عادش هيعظم النبي –عليه الصلاة والسلام–، فأنا محتاج أقول له عظم النبي –عليه الصلاة والسلام– بس عظمه بالطريقة التي أمر بها النبي –صلى الله عليه وسلم–.

واحدة بتعبد ربنا بطريقة فيها بدعة، هي لسه ما عندهاش النضج الكافي ولا الفقه الكافي ولا العلم الكافي اللي بها تفرق ما بين الحق والباطل ولا عارفة تفرق، هل أنا أبين لها؟ ولا أسكت؟ ولا أنهاها؟ طب أنا لو نهيتها هانهاها عن الطريقة الخطأ التي تعبد بها ربها –سبحانه وتعالى– بالبدعة، لكن في نفس الوقت أنا أيضًا نهيتها عن مسائل مهمة جدًا في الدين، هي كانت معتبرة إن ده الدين، فبالتالي أنا المرة دي مش بانهاها عن البدعة، ده أنا بانهاها عن الدين كله، لأن هو دينها هو ده، يعني مفيش أي حاجة في الدين في حياتها إلا ده، فبالتالي هنا اختلط الأمر والنهي. طب أنا راجل بقى عندي من العلم والفقه والحكمة إن أنا أعرف أفرق، أقول لها ده الشرع بيقول كذا، واللي انت بتعمليه ده فيه حاجات كويسة وبنشكر لك مشاعرك الطيبة، وبنشكر لك إن انت أردت وجه الله وأن انت بذلت وأن انت وأن انت، الحاجات اللي هي فعلا محمودة عليها، ثم بعد ذلك نبين لها إن الطريقة التي استعملتها كانت طريقة خاطئة وأن عليها اتباع النبي –صلى الله عليه وسلم–، ده

[٨] صحيح الترمذي





مسألة محتاجة فقه، ومحتاجة علم، ومحتاجة تبيين، ومحتاجة نعرف إيه الثوابت وإيه المتغيرات، إيه الصح وإيه الغلط، إيه الحلال وإيه الحلال في نفس ذات الفعل وما يترتب على هذا الفعل.

فهنا شيخ الإسلام بيوضح هذه القاعدة بيقول: "إذا كان الشخص والطائفة جامعين بين معروف ومنكر، بحيث لا يفرقون بينهم بل إما أن يفعلوهما جميعًا أو يتركوهما جميعًا، لم يَجُز –بيقول لا يجوز إن انت تأمرهم وتنهاهم إلا لما تعرف الأول– بل يُنْظَر فإذا كان المعروف أكثر؛ أُمِرَ به، وإذا استلزم ما هو من دونه من المنكر". كان زمان طلع أحد الدعاة الأفاضل كان بيتكلم في العبادات والأخلاق عمل سلسلة عن الصحابة، فكان الشباب بيلتزموا وبيسمعوه وبيحبوا طريقته، وفعلا قربهم من ربنا –سبحانه وتعالى–، فأحد الشيوخ طلع مرة وقام قايل يا جماعة لا تسمعوا لهذا الرجل لإنه عنده مشاكل وهو مش متبع النبي –عليه الصلاة والسلام– ومش ملتحي، والنبي –عليه الصلاة والسلام– كان ملتحي وأمر باللحية فهو كده خالف كلام النبي فما تسمعلوش، فطبعا هنا فيه بعض الشباب سمع الكلام، عمل إيه؟ ما سمعوش وقعد على القهوة، يعني هو كان بدأ يسمعه وبدأ يصلي فما سمعهوش خالص، ما سمعهوش وما سمعش أي حد تاني في الدين، فالشيخ اللي أنكر إن الداعي ده مثلًا مش ملتحي، هل هو كده حقق مصلحة؟ فالشيخ هيقول: والله أنا نهيت عن منكر كان موجود.

هنا شيخ الإسلام بيقول له: لا لا، تعالى أنا عايزك تقف مع نفسك وقفة، هو دلوقتي الراجل ده اللي انت نهيته ده، انت تعرف من حاله إن هو يعرف يفرق؟ لا ما أعرفش، طب انت لما نهيته عن المنكر هو المنكر اللي انت بتظنه منكر ده بالنسبة له هو الدين كله، يعني هو لما ما سمعوش مش هيسمعك انت، ما بيسمعش حد أصلًا، فبالتالي انت لما نهيت عن منكر انت ضيعت معروف، إيه المعروف؟ إن الراجل كان بيصلي، إن الراجل كان بدأ إن هو يسمع القرآن، إن الراجل بدأ يحاول إن يصاحب صحبة صالحة.

فهنا شيخ الإسلام بيقول إيه: لو إن المعروف والمنكر مختلطين ومجموعين مع بعضهم البعض لم يَجُز أن يؤمروا الناس بالمعروف وينهوا عن المنكر بل ينظر أولًا، ينظر في إيه بقى؟ إذا كان المعروف أكثر؛ أُمِر به، وإن استلزم ما هو دونه من المنكر، يعني قول له: آه روح للشيخ ده وخليك معاه واجتهد فيه حتى وانت عارف إن هو عنده جزء من المنكر، ليه؟ لإن المعروف في تعظيم الصلاة وأمر الصلاة أعظم عند الله –سبحانه وتعالى– من أمر اللحية، قال: فإن كان المعروف أكثر؛ أُمِر به، وإن استلزم ما هو دونه من المنكر.

طيب افرض أنا لو نهيته عن منكر، هانهاه عن المنكر ده وفي نفس الوقت هانهاه عن المعروف ده، فبالتالي الراجل ده معدش هيسمع لا الشيخ ده ولا هيسمع لأي حد تاني، هنا نعمل إيه؟ شيخ الإسلام بيقول إيه: "بل يكون النهي حينئذ من باب الصد عن سبيل الله"، شوفوا يا جماعة شيخ الإسلام وهو بيفصل ويفرق، إن يا جماعة الأمر ما عدش أبيض وأسود، الأمر لما بيكون أبيض وأسود كله بيرتاح، لكن لما يكون الأمر فيه أبيض مختلط بأسود مختلط بأبيض وفتن كقطع الليل المظلم، وفيه حتة خير وحتة شر وبعد كده حتة خير كبيرة وحتة شر صغيرة وبعد كده حتة شر كبيرة أوي وحتة خير صغيرة، فانت لو أمرت بالخير وأثنيت على الخير اللي موجود انت كمان بتثبت الشر وبتقره، ولو انت نهيت عن الشر انت بتضيع الخير اللي موجود، فالموضوع محتاج موازنة ومحتاج فقه ومحتاج علم.

هنا شيخ الإسلام بيعلمنا ازاي نفكر، بيعلمنا ازاي ننظر للشرع، بيعلمنا ازاي ندعو إلى الله –سبحانه وتعالى–.

قال: "بل يكون النهي حينئذ" اللي هو إيه النهي حينئذ؟ اللي هو لو واحد نهى عن المنكر وكان نهيه عن المنكر ده هيستلزم تفويت طاعة أعظم منه، أنا عرفت منين الطاعة أعظم ولا المنكر أعظم؟ دي مسألة محتاجة نعرفها من ترتيب أولويات الشرع، واحنا اتكلمنا في أولويات الشرع قبل كده ودي مسألة محتاجة فقه، إن احنا نعرف إيه قبل إيه، إن الصلاة أعظم الواجبات العملية، إن التوحيد هو أعظم الأوامر الشرعية، إن الزكاة من أركان الإسلام، إن صيام رمضان من أكبر الأوامر الشرعية، إن فيه معاصي وفيه معاصي أكبر منها، في معصية اسمها معصية كبيرة وفي معصية اسمها معصية صغيرة وفي معصية اسمها اللمم، اللمم ده يعني حاجة تلم بالإنسان، المعاصي درجات والطاعات درجات، وفيه أولويات للطاعات وأولويات للمعاصي.



قال: "بل يكون النهي حينئذ من باب الصد عن سبيل الله، والسعي في زوال طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، وزوال فعل الحسنات".
تخيلوا يا جماعة تخيلوا إن واحد يريد إن هو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وهو يكون نفسه سبب في الصد عن سبيل الله، تخيلوا إن واحد يريد إن هو يدعو إلى الله -سبحانه وتعالى- وهو نفسه يكون سبب في زوال طاعة الله -سبحانه وتعالى- وطاعة النبي -صلى الله عليه وسلم-.

قال: "وإن كان المنكر أغلب، نُهي عنه، وإن استلزم فوات ما هو دونه من المعروف"، مثلًا واحدة بترقص، واحدة مثلًا بتزني، تقول لها مثلًا انت مصاحبة فلانة اللي سلوكها وحش ده ليه؟ تقول لك والله أصل هي بتيجي كل سنة تتصدق صدقة، وفي رمضان بتديني فلوس الفقرا، إيه ده! يعني انتم بتهزروا! لا يا جماعة هنا فيه منكر اسمه منكر الزنا، فيه منكر اسمه منكر تضييع حرمات الله -سبحانه وتعالى-، وفيه طاعة موجودة اللي هي طاعة الصدقة، فيه طاعة موجودة اسمها طاعة إن هي قلبها بيرق في مواسم الطاعة، فيه طاعات موجودة، هنا بنوزن هو إيه المنكر الأعظم وإيه الطاعة الموجودة؟ وأيهما أكبر؟ لو الطاعة الموجودة أكبر خلاص اؤمري بالطاعة، طيب لو المنكر أكبر؟
هنا بيقول: "وإن كان المنكر أغلب، نُهي عنه، وإن استلزم فوات ما هو دونه من المعروف -حتى لو استلزم ده إن فيه بعض المعروف هيروح، ويكون الأمر بذلك المعروف، المستلزم للمنكر الزائد عليه، أمرا بمنكر، وسعيا في معصية الله ورسوله"، شوفوا يا جماعة مسألة الموازنة، الموازنة بين المعروف والمنكر، لو واحد بقى قال لك والله أصل الست دي بتعمل صدقة كل سنة في رمضان، فاحنا بالتالي ما ينفعش ننهاها عن المنكر، لأن لو احنا نهيناها على ده ما عدتش هطلع الصدقة.
فبيقول بقى لو الراجل جه تكلم في إن الصدقة دي أهم من المنكر العظيم الكبير ده اللي هو الزنا، أو اللي هو تضييع حرمات الله -سبحانه وتعالى-، فيقول: فيكون الآمر بهذه الصدقة -مع إنه بيأمر بصدقة، مع إنه بيأمر بالخير، مع إنه بيثني على خير، مع إنه بيقر خير، لكنه في هذا ويكون الأمر بذلك المعروف، المستلزم للمنكر الزائد عليه، أمرا بمنكر، وسعيا في معصية الله ورسوله"، ليه؟ لإنه ترك الأمر الأكبر.
يبقى يا جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مش بس أُمِرْنَا فيه إن احنا نفهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ده احنا كمان أُمِرْنَا فيه إن احنا نعرف إيه الطاعة الأكبر من الطاعة، وإيه المعصية الأكبر من المعصية، وإيه الأهم من إيه.

قال: "وإن تكافأ المعروف والمنكر المتلازمان؛ لم يؤمر بهما ولم ينه عنهما"، طب افرض هما الاتنين زي بعض؟ قال: لم يؤمر بهما ولم ينه عنهما "فتارةً يصلح الأمر وتارةً يصلح النهي وتارة لا يصلح لا أمر ولا نهي حيث كان المعروف والمنكر متلازمين وذلك في الأمور المعينة الواقعة"، فهنا شيخ الإسلام بيتكلم يا جماعة إن المسألة محتاجة فقه ومحتاجة موازنة.

طبعا الوقت مر سريعا لكن أقف عند هذا الحد، ونتكلم مرة الجاية إن شاء الله رب العالمين على مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من حيث النوع، هو هنا بيتكلم من حيث عين المسائل، يعني بيقول إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيه حاجة اسمها:
- النوع: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللي هي القواعد العامة.
- وفيه حاجة اسمها عين المسائل التي اختلط فيها الحق بالباطل والمعروف بالمنكر والحسنات والسيئات، إن فيه واحد بيعمل حسنة لكنها مشوبة بسيئة، أو واحدة بتعمل سيئة لكنها مشوبة بحسنة، يعني واحدة مثلًا بتيجي في المولد بتعظم النبي -عليه الصلاة والسلام- بتحب النبي -عليه الصلاة والسلام- لكنها بتعبر عن حبها للنبي -عليه الصلاة والسلام- بطريقة خاطئة، فهنا هي محمودة من ناحية أنها بتعظم النبي -عليه الصلاة والسلام- وبتحب النبي -عليه الصلاة والسلام- وتشتاق للنبي -عليه الصلاة والسلام- وتريد أن تكون مع النبي -



صلى الله عليه وسلم-، من حيث المشاعر؛ هي محمودة، لكن من حيث المعاملات؛ محتاجة أن نُصحح لها، طيب لو احنا نهينا عن ده هنضيع الاتنين ولو احنا أمرنا بده هنقر الاتنين، فهنا بقى هو ده موضع الموازنات في مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مش كل حد يتقال له كل حاجة، ومش كل كلام يتقال لكل حد، القواعد محتاجة إنها تتوزن على ميزان الشرع، والخير محتاج إنه يترتب على أولويات الشرع، والشر محتاج إنه يترتب على أولويات الشرع، وإذا اختلط الخير بالشر، محتاج نعرف إيه قبل إيه؟ وإيه اللي يُؤمر به؟ وإيه اللي يُنهى عنه.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم وجزاكم الله خيرا والسلام عليكم ورحمة الله.